

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

العلاقة بين
نزول الملائكة،
وكون القرآن
منزلاً من عند
الله الذي هو
بحفظه

لَمَّا أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مَقْتَرِحِ الْكَافِرِينَ فِي الْإِتْيَانِ بِالْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾؛ أَجَابَ عَنِ الشُّبْهَةِ الْأُولَى فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وَجَاءَ نَشْرُ الْجَوَابَيْنِ عَلَى عَكْسِ لَفِّ الْمَقَالَتَيْنِ اهْتِمَامًا بِالْإِبْتِدَاءِ بِرَدِّ الْمَقَالِ الثَّانِي بِمَا فِيهِ مِنَ الشُّبْهَةِ بِالتَّعْجِيزِ وَالْإِفْحَامِ، ثُمَّ ثَنَّى الْعِنَانُ إِلَى رَدِّ تَعْرِيزِهِمْ بِالِاسْتِهْزَاءِ وَسُؤَالِ رُؤْيَةِ الْمَلَائِكَةِ⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿لَحَافِظُونَ﴾: أَصْلُ (حَفَظَ): يَدُلُّ عَلَى مُرَاعَاةِ الشَّيْءِ⁽²⁾، وَيَأْتِي الْحِفْظُ بِمَعْنَى: الرِّعَايَةِ وَالْعِنَايَةِ، وَضِدُّهُ التَّضْيِيعُ وَالتَّفْرِيطُ، تَقُولُ: حَفِظَ الْمَالَ حِفْظًا؛ إِذَا رَعَاهُ، وَمَنْعَهُ مِنَ الضَّيَاعِ، وَالْحِفْظُ أَيْضًا: التَّعَاهُدُ، وَضِدُّهُ النُّسْيَانُ، يُقَالُ: حَفِظَ الْكَلَامَ، أَيَّ: تَعَاهَدَهُ، وَلَمْ يَنْسَهُ⁽³⁾. وَالْحَافِظُ وَالْحَفِيطُ الْمُوَكَّلُ بِالشَّيْءِ لِيَحْفَظَهُ، يُقَالُ: فَلَانِ يَحْفَظُنَا عَلَيْكُمْ وَحَافِظُنَا⁽⁴⁾. وَالْمَرَادُ بِ﴿لَحَافِظُونَ﴾ فِي الْآيَةِ، صَوْنُ الذِّكْرِ عَنِ الضَّيَاعِ وَالتَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ⁽⁵⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/20، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/20.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حفظ).

(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، اللحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (حفظ).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (حفظ).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/207.

❖ المعنى الإجمالي:

بَيَّنَ الْحَقُّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِحِفْظِ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي سَبَقَ لِلكَافِرِينَ أَنْ اسْتَهْزَوْا بِهِ، وَبِمَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ الذِّكْرُ وَالْمَوْعِظَةُ وَالشَّرَفُ، وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ فِي حَالِ إِنْزَالِهِ مِنْ اسْتِرَاقِ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، وَبَعْدَ إِنْزَالِهِ بِحِفْظِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ مِنْ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ، وَلِحَافِظُونَ لَهُ بِالْإِعْجَازِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى مَعَارَضَتِهِ أَوْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَلِحَافِظُونَ لَهُ بِقِيَامِ طَائِفَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِاسْتِظْهَارِهِ وَحِفْظِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ، إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا⁽¹⁾.

الذكر الذي بعث
الله به نبيه
ﷺ، محفوظ
ومحروس على
الدوام

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بديع القول بالموجب، في سياق الآية:

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْكَافِرِينَ قَوْلَهُمْ: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾؛ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْلِ بِالْمَوْجِبِ بِتَقْرِيرِ إِنْزَالِ الذِّكْرِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مُجَارَاةً لِمُجَاهِرِ كَلَامِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي اسْتَهْزَائِهِمْ⁽²⁾.

الرَّدُّ على شبهة
الكافرين من
كلامهم،
أسلوب قرآني
بليغ

براعة التعبير، في سياق حفظ الله للقرآن:

فِي سَبَبِ الْجَمَلَتَيْنِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَلَالَةِ وَعَلَى فَخَامَةِ شَأْنِ التَّنْزِيلِ مَا لَا يَخْفَى؛ إِذْ بَدَأَتْ الْآيَةُ بِالتَّأَكِيدِ عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِ الْمَنْزَلِ وَالْمَنْزَلِ، ثُمَّ زَادَ ذَلِكَ ارْتِقَاءً فِي بَيَانِ شَأْنِ الذِّكْرِ وَنِكَايَةً لَهُمْ بِأَنْ مُنْزَلَ الذِّكْرِ هُوَ حَافِظُهُ مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ⁽³⁾.

حفظ القرآن من
كيد الأعداء،
ارتقاء به
وتعظيم لشأنه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/68، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/207، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير المبسر، ص: 262، والشنقيطي، أضواء البيان: 2/255.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/20.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/69، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/20.

فائدة التعبير بضميري الجمع ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ معًا:

تعظيم المنزل
يدلُّ على تعظيم
المنزل

أفاد الضميران (نا) الذي هو اسم (إنَّ)، و﴿نَحْنُ﴾: التعظيم، أي: نحن بعظم شأننا وعلو جانبنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكره، وأنكروا نزوله عليك، ونسبوك بذلك إلى الجنون، وتعظيم المنزل، يدلُّ على تعظيم المنزل⁽¹⁾.

دلالة صيغة فعل، في قوله: ﴿نَزَّلْنَا﴾:

مجيء صيغة
فعل للمبالغة،
في نزول القرآن
وتعظيم شأنه

أفادت صيغة (فعل) تكثير التَّنْزِيل؛ للإشعار بالمبالغة في نزوله وتعظيم شأنه، ولما كان السياق في بيان حفظه من الطعن وغيره، وهذا لا يكون إلا في الأرض، وليس حينما نزل من السماء دفعة واحدة؛ ناسب أن يأتي بصيغة فعل التي تدلُّ على نزوله على رسول الله ﷺ في الأرض تدريجًا ومفرقًا.

نكتة اختيار لفظ ﴿الذِّكْرُ﴾ في الآية:

القرآن سيبقى
مذكورًا على
ألسنة المؤمنين،
إلى يوم الدين

لم يقل: (نزلنا القرآن) مع أن القرآن أخص في العلمية على المنزل من عند الله من لفظ الذكر عند الإطلاق؛ لأنه جاء على طريق القول بالموجب كما تقدم، وللإشعار بأنه مذكور عند الله وعند الملائكة، ولما بين أنه تعالى حافظ له، وأنَّ حفظه أمر ثابت دلَّ على أنه سيبقى مذكورًا، ويلزم منه دوام كونه مقروءًا مادام الله حافظًا له، فهو مقروء على السنة الخلق إلى يوم القيامة⁽²⁾، وفيه إشارة إلى ما هو واقع ثابت في المستقبل.

فائدة مجيء المسند ﴿نَزَّلْنَا﴾ جملة فعلية:

تقوية مضمون
الجملة،
وتحقيقها
بمجيء المسند
جملة فعلية

قوله: ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، تحتمل هذه الجملة أن تكون خبرًا عن ﴿نَحْنُ﴾؛ لتفيد تقوية الحكم وتحقيقه وتخصيصه، بمعنى تحقيق أن الله تعالى هو الذي نزل الذكر وتخصيصه به سبحانه، فتكون جملة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/123، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/68.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/286.

﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ خبراً عن (نا) ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تكون خبراً عن (نا) ،
ويكون ﴿نَحْنُ﴾ تأكيداً للضمير (نا) ، ومآل المعنى واحداً⁽¹⁾.

دلالة الواو في ﴿وَإِنَّا لَهُو لَحَفِظُونَ﴾:

أفادت الواو العطف؛ ليكون الكلام من عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسمية؛ ليكون بمجموعهما الرُّد على إنكار الكافرين واستهزائهم، كما أشعر العطف أَنَّ الجملة المعطوفة بمنزلة الدليل على معنى الجملة المعطوف عليها، فكان حِفْظُ الله تعالى للقرآن دليلاً وحجّةً على أَنَّ الله تعالى نزّله؛ لأنّه لو كان من قول البشر، أو لم يكن آية؛ لتطرّق عليه الزيادة والنقصان، ولم يبق محفوظاً من التبديل والتغيير، كما يتطرّق على كل كلام سواه⁽²⁾.

فائدة ورود الجملة الاسمية في السياق:

في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُو لَحَفِظُونَ﴾ لما كانت الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام؛ دلّ الكلام على ثبوت حفظ الله تعالى للقرآن ودوامه⁽³⁾.

دلالة عود الضمير في قوله: ﴿لَهُو﴾:

يعود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو ﴿الذِّكْرُ﴾، وهو ظاهر قول جمهور المفسرين، وليس إلى الرسول، كما نقل عن بعضهم⁽⁴⁾، فإنّه لا تعلق بين إنزال الله للذكر، وبين حفظ الله تعالى للرسول؛ لأنّه تعالى قد يحفظ الرسول وإن لم يُنزل عليه الذكر، والمعنى: وإنّا للذكر لحافظون⁽⁵⁾.

حَفِظَ اللهُ تعالى
للقرآن، حَجَّةً
على أَنَّهُ نَزَّلَهُ على
رسوله

بيان ثبوت حفظ
الله تعالى
للقرآن ودوامه

حِفْظُ للقرآن،
ضمان لحمايته
من التحريف
والعبث به

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2/777، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص: 221.

(2) الرمخشري، الكشف: 2/572، والتيسابوري، غرائب القرآن: 4/211.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/69.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/352، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/123، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/486.

(5) الفراء، معاني القرآن: 2/85، وابن جرير، جامع البيان: 17/68، والمازدي، تأويلات أهل السنة:

6/423، والباقلاني، الانتصار لنقل القرآن: 1/136.

لَمَّا وَكَّلَ اللَّهُ
تعالى حفظ
القرآن إلى
نفسه، لم يَقْدِرْ
أحدٌ على الطَّعن
فيه

حَفِظَ اللَّهُ تعالى
القرآنَ خاصَّةً،
دُونَ سائر ما
نَزَّلَ من الكتب

حَفِظَ القرآن من
التَّحْرِيفِ، مع
تَوْفُرِ الدَّوَاعِي
على الطَّعن
فيه، من أعظم
المعجزات

دلالة تتابع المؤكِّدات، في آية الحفظ:

تأكَّدت الجملة بالأداة (إِنَّ) التي تُفِيدُ تأكيدَ مضمونِ الجملة وباللَّامِ في ﴿لَحَفِظُون﴾، وبتقديم الجارِّ والمجرور، فأصلُ الكلام (وإنَّا لحافظون له)، كما أنَّ اللَّامَ الدَّاخِلَةَ على الضَّميرِ أفادت تقويةَ العاملِ على جهةِ المبالغةِ في الحفظِ للذكر، كما أنَّ مجيءَ الجملةِ اسميَّةً قوًى هذا التأكيدَ، فلمَّا وَكَّلَ اللَّهُ تعالى حفظَ القرآنِ إلى نفسه، وقَرَّرَهُ بتتابعِ التأكيدات، لم يَقْدِرْ أحدٌ من الطاعنين مع كثرتهم على الطَّعنِ فيه منذ نزل، ففي حفظه حُجَّةٌ على أنَّه من عندِ الله⁽¹⁾.

دلالة تقديم ﴿لَهُ﴾ على ﴿لَحَفِظُون﴾:

أفاد تقديمَ الجارِّ والمجرورِ على متعلِّقه ﴿لَحَفِظُون﴾ التَّخصيصَ، بمعنى: إنَّا للذكرِ خاصَّةً دونَ سائرِ ما نَزَّلناه من الكتب لحافظون، وأفاد التَّقديمُ التَّأكيدَ كما تقدَّم، ولرعايةِ الفاصلةِ كذلك.

دلالة إسناد حفظ الذِّكرِ إلى الله تعالى:

قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُون﴾، قد يُقال: ما السُّرُّ في تَطَرُّقِ التَّغْيِيرِ لِلْكُتُبِ السَّالِفَةِ وَسَلَامَةِ الْقُرْآنِ مِنْ تَطَرُّقِ التَّغْيِيرِ لَهُ؟ والجوابُ: أنَّه لَمَّا أَوْكَلَ اللَّهُ لِلْأَحْبَارِ حِفْظَ كُتُبِهِمْ، فَقَالَ: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [البَّاقَةُ: 44]، وَتَوَلَّى حِفْظَ الْقُرْآنِ بِذَاتِهِ تَعَالَى، فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُون﴾⁽²⁾، فكان حفظ القرآن من التَّحْرِيفِ مع تَوْفُرِ الدَّوَاعِي على الطَّعنِ فيه، وإبطالِهِ على مدارِ الأزمنة، لهو من أعظم المعجزات على أَنَّ اللَّهَ تعالى نَزَّلَهُ على رَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وفيه إخبارٌ عن الغيب، وهو واقع الآن، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مُعْجَزًا قَاهِرًا⁽³⁾.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/423.

(2) القشيري، لطائف الإشارات: 2/264، والقاضي عياض، ترتيب المدارك: 4/283، والزَّمَخْشَرِيُّ،

الكشاف: 2/572، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/6.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/124.

إثارة حذف متعلق اسم الفاعل ﴿لَحَفِظُونَ﴾:

لما كان اسم الفاعل ﴿لَحَفِظُونَ﴾ يَقْتَضِي متعلقاً؛ أفاد حذفه معنى العموم، أي: لحافظون من كل ما لا يليق به، فَيَدْخُلُ فيه حفظه من تكذيبهم له واستهزائهم به دخولاً أولياً، فيكون وعيداً للمستهزئين، ويشمل الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته، ودخل في حفظه الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه في ألفاظه ومعانيه، بأن يسر تواتره وأسباب ذلك، وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبي ﷺ، فاستقر بين الأمة بمسمع من النبي ﷺ، وصار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر، كما أفاد حذف المتعلق عموم الزمان، بمعنى: أن حفظه عن الطعن وغيره في كل وقت⁽¹⁾.

نكتة التعبير بلفظ ﴿لَحَفِظُونَ﴾:

عبر بلفظ ﴿لَحَفِظُونَ﴾ للإيذان بأن الله تعالى هو المتكفل بتعهده ورعايته بمعنى منع تغييره وتحريفه والنقص فيه، وأفاد التعبير أنه تعالى عالم به، فإن الحافظ للشيء عالم بأحواله، ولا يتخلله جهل ولا نسيان، فإذا خفيت عليه أحواله أو بعضها؛ لا يتأتى له حفظه⁽²⁾.

سر إثارة التعبير بصيغة اسم الفاعل ﴿لَحَفِظُونَ﴾:

أشعر التعبير بصيغة اسم الفاعل، عراقة وصف حفظ الله للقرآن وثباته له سبحانه.

حفظ الله
للقرآن يعم
الحفظ للقرآن،
ولامة القرآن

الحافظ للشيء
عالم بأحواله،
ولا يعتريه جهل
ولا نسيان

(1) الرّمخشري، الكشف: 2/573.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 205، والراغب، المفردات: (حفظ).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»